يهود العراق

"فالكل عراقيون .. وفوق الميول والاتجاهات "

إعداد : موضي عبدالله النفيسة

433202038

إشراف : أ.بدرية العبيد

بسم الله الرحمن الرحيم

نشأت لدي رغبة ملحة وشغف حول كل ما يذاع عن اليهود ، و اقترنت تلك اللهفة بالواقع المرير للمسلمين ، وعن تلك الصورة النمطيه حولنا في الاعلام والمجتمعات الاخرى . فهل من الممكن أن يعاني اليهود من تلك الصورة النمطية ؟ وهل من الممكن أن يكون اليهود بهذا السوء ؟ وما علاقتهم بالصهيونية ؟ والكثير من الأسئلة التي راودتني وزادة من شكي . إلا انها أرشدتني للبحث عنهم وعن ماضيهم وعن زمن تعايش فيه اليهودي والمسلم كالأخوة ..

" المحبة هي من أهم الدروس التي تعلّمنا أياها توراتنا (تراثنا اليهودي) فقد أمرتنا أن نحب كل أصحابنا كما نحب أنفسنا (اللاويين ١٩: ١٨) وأن يكونوا البشر جميعهم أصحابنا وإخواننا فنحبهم كما نحب أنفسنا، وبما ان الخالق تعالى عندما خلق الإنسان أعطاه العقل والحرية الكاملة لاستعماله فالفطرة الإلهية تفرض عليه أن يستخدمه للخير وللمحبة لذلك فمِن أهم المهمات الموكلة لنا من قبله تعالى أن نبني علاقات طيبة ومحبة متبادلة مع جميع البشر وعلى اختلاف دياناتهم وقومياتهم.
بحول الله سيعم السلام والأمن وستنتهى الحروب في كل أنحاء العالم."
(الصفحة الرئيسية للمجلس اليهودي الأمريكي)

أن دارسة ثقافة أي بلد أو جماعة هي الطريق الاقصر لنبني علاقات طيبة مع جميع البشر . والثقافة اليهودية تحديداً قريبة جداً من العربية وحتى أن جذور اللغة العربية واللغة العبرية واحده من أصل سامي . وعموماً تميز اليهود على مر الأجيال باندماجهم مع ثقافة الشعوب الذين سكنوا معهم مع حفاظهم على الهوية اليهودية ووصايا التوراة .

أن أكثر ما يجذب الباحث عن التاريخ اليهودي هو اليهودي العربي وتحديداً العراقي .
فقد تميز يهود العراق عن غيرهم من اليهود العرب ، كانوا جزء لا يتجزأ من الشعب العراقي العريق فقد برز دورهم على الصعيد السياسي وساهموا في تأسيس الدولة العراقية الحديثة ، ففي مؤتمر القاهرة الذي عقد عام م 1921 والذي كان من مقرراته تأسيس مملكة العراق كان (ساسون حسقيل) وزير المالية أحد أعضاء الوفد العراقي . ولأبناء الطائفة اليهودية الفضل في إقرار الكثير من القوانين السياسية كونهم ممثلين في البرلمان العراقي ومن أهمها قانون تعدد الأحزاب السياسية في العراق . أما على الصعيد الاقتصادي فقد خدم يهود العراق الاقتصاد وساهموا في بناءه وازدهاره . فقد شاركوا في إعداد العملة العراقية وكما انهم عملوا في الصيرفة ومجال العقارات وفي زراعة الأراضي . ولا ننسى سياسة (ساسون حسقيل) وزير المالية ومواقفه الوطنية التي جلبت واردات كبيرة للعراق ساعدت في بناء الاقتصاد وتأسيسه كما أنها أغضبت البريطانيين آنذاك . وأما في المجال العسكري فانخرط الكثير منهم في الجيش العراقي ولم يتقاعسوا ولو للحظه عن الدافع عن أراضيهم . وأما في المجال الثقافي و الإعلامي ، فلا أحد ينكر دورهم ومساهماتهم ، فيكفينا أنهم أول من ادخل المطبعة إلى العراق , والكثير من المطابع التي تأسست على أيدهم ، وكانت خاصة بنشر مورثهم الديني . وفي الصحافة ، صدرت العديد منها كما أن اول صحيفة تصدر من خارج الوطن العربي كانت عراقية يهودية ، وكتبت بالعبرية الدارجة في عند اليهود العراقيين ويقال أنه كان لهم صحف سرية وعلنية . ومن أشهر الصحفين :يعقوب خزمة ، مراد ميخائيل و ويوسف مكمل

ولكن ما الذي حال الطائفة اليهودية إلى الزوال ؟ ومن الذي أشعل نار العداوة والكره بين الشعب العراقي اتجاه اليهود ؟ وهم الذين عاشوا في ودَّ وسلام وحياة كريمة منذ عهد الدولتين الأموية والعباسية . لم يكن بينهم أية فوارق ولم يعرفوا مشاعر الطائفية , لقد تشارك الكتاب اليهود والمسلمين همومهم وحاجاتهم ولم يكن يفرق القارئ العراقي بينهم . و للباحث عن إجابة عليه أن يعلم أن الصراع السياسي وحلم الصهيونية حال بينهم وفرقهم . فا في عام 1941م ومع انقلاب رشيد عالي الكيلاني , تلك الحادثة التي عرفت باسم " الفرهود " كانت بداية نهاية الطائفة اليهودية في العراق . يروى أن " الفرهود" مذبحة حصلت بحق اليهود العراقين بعد هروب رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني الذي عرف بتأييده للنازية مع مفتي القدس أمين الحسيني وغيرهم من أنصار النازية في العراق بعد هزيمتهم من القوات البريطانية . كما أن الكثير من الشيوخ أرادوا الانتقام من الإنكليز فحرضوا المسلمين على إخوانهم ، هاجموا بيوتهم وقتلوا النساء الحمل والأطفال والرجال فا مع الأسف استحلوا الدماء والأعراض والأموال . تناسوا أنهم مواطنون عراقيون لا علاقة بهم بالاحتلال البريطاني . استمرت أحداث " الفرهود " ليومين حصدت ثلاثة ألاف قتيل ولم تتوقف إلا بعد التدخل العسكري البريطاني . توالت الأحداث سريعاً وانهار الأمن واستهدفت حياة اليهود فقد سرقت أموالهم ودمرت متاجرهم وحرموا من الوظائف ومن الانتخابات وأطفالهم من المدارس . تلك الاحداث تزامنت مع تأسيس دولة إسرائيل التي كانت نقمة على اليهود العراقيين .ويرجع بعض المحللين لأحداث الفوضاء التي حصلت بأنها صنيع بريطاني – صهيوني وذلك لدفع اليهود الى الهجرة ، وأن تلك الدعوات المعادية لإسرائيل ما هي إلا بغرض تجهيز إسرائيل . كانت السلطات العراقية تحث على الهجرة وأحياناً كانت تجبرهم وتقتل من كان يرفض . وبدأت الهجرات المكثفة إلى إسرائيل بعد أن أسقطوا عنهم جنسياتهم في عام 1950م ، صادرت الحكومة العراقية ممتلكاتهم وجمدت اموالهم أو بمعنى أخر سرقت أموالهم وتحول ذات الغناء الفاحش الى الفقر . إن تهجير أبناء بغداد والبصرة ما هي إلا مؤامرة تخدم الحكومة العراقية بتخلصها من معراضين والحكومة الإسرائيلية التي لن تجد أفضل منهم لإعمارها . رغم أنهم هاجروا قسراَ إلا أنهم ظلوا يحنون للأرض التي احتضنتهم . وقال أحدهم يوماً

" نهر دجلة يجري في تل أبيب " :

تعرض اليهود العراقيين لمحاولات مسخهم من ثقافتهم وتراثهم العريق من الأدب والفكر ومروراً بالموسيقى والغناء والمقامات العراقية الشهيرة . وكون اللغة هي القاعدة الثقافية وهي المنتجة للفكر والأدب ، فقد تعرضت اللغة العربية للمحاربة والتضيق عليها فقد أضطر بعض الكتاب إلى التخلي عنها والكتابة باللغة العبرية تسويقاُ لكتبهم . إلا أن الأديب سمير نقاش أصر على الكتابة باللغة العربية ، وكثيراً ما عبر عن عشقه لهذه اللغة التي تؤكد إنتمائيه العراقي . معتبرها هي الوحيدة التي تستطيع ان تعبر عن ما بداخله بشكل أفضل .. سمير نقاش الروائي والمسرحي العراقي الذي أنعزل عن المجتمع الغربي أو عن الثقافة الغربية بالأخص ، فا منها أستطاع أن يحافظ على ثقافته ولغته العربية . أدب سمير تزدهر به الجامعات الإسرائيلية وجامعة مصرية ، و يتسابق الطلاب لتناول أدبه وعلمه ، لينالوا بها الماجستير والدكتوراه . لقد جابت رواياته العالم أجمع ما بين دول عربية إلى السويد و امريكا وهولندا . بالحقيقة لم أجد كاتب تحسر ومات وهو يحن على العراق مثله . وهو الذي مات مرتين ، الأولى حين غادر بغداد مع عائلته في الثالث عشر من عمره على حد تعبيره. ولم ينتهي الإرث الثقافي إلى هنا ، فحين نغوص عالم الأدب والرواية فعلينا أن لا ننسى الرواية الشهيرة " وداعاً بابل " لروائي نعيم قطان . و لا الكاتب شمعون بلاص ، الذي يعتقد ان الإنسان لن يستطيع أن يكتب شيئ قريباً الى قلبه إلى بلغته الأم معللاً بذلك سبب تعلقه بالكتابة بالغة العربية . لقد خسر العراق من الإرث الثقافي شريحة من الكتاب والمثقفين . ولم تحظى إلا أرض تل أبيب بهم ، فقد افتتحوا "مركز تراث ومتحف يهود العراق" ليلم شمل المثقفين والكتاب ، فتقام فيه الندوات والمعارض و الامسيات التي لا تخلو من الحكايا والذكريات حول بغداد الحزينة . كما أنهم نقلوا معهم نموذج للكنيس الكبير * يضم التوراة ومركزا علمياً ، وتعقد فيه المحاضرات المتعلقة بالمواضيع العراقية. ومن أبرز ما قاموا به أيضاً ، هو إنشاء رابطة الجامعيين اليهود النازحين من العراق بإشراف البروفيسور شموئيل سامي موريه ، الذي ضم العديد من المنشورات والمؤلفات . وتأتي المبادرة تلك لسعيه إلى المحافظة على أدبهم وتراثهم .

---

* الكنيس هو معبد أتباع الديانة اليهودية

إن القلب لينفطر حزناً حينما يسمع أصوات تتغنى اشتياقاً وحنين لأوطانها . لا أحد يجاري العراقيين واليهود العراقيين تحديداً في حبهم لأوطانهم ، فقد تفوقوا في تمثيل انتماءهم ونقل مشاعرهم الوطنية . لقد حملوا العراق على أكتافهم إلى إسرائيل ، فا أطلقوا على حي أستقروا فيه بـ(العراق الصغير) . كما أنهم أسسوا "سوق بغداد " الذي يقع في تل أبيب . حينما تشاهد السوق للمرة الأولى تعتقد بأنه سوق شعبي عربي ، من تلك الأكلات العربية ، وأصوات الباعة تختلط بأصوات الزبائن ، ولكن تتفاجأ أن تسمع أحدهم يغني مقطوعة من التراث العراقي لـ " لصالح الكويتي وداود الكويتي " * حينها لا تجزم إلا أنها بغداد الصغرى .. صالح الكويتي وأخوه داود يعتبران أشهر من خدموا الفن العراقي بالموسيقى وبالغناء والتأليف ، حتى أن إحدى شوارع تل أبيب تحمل أسماءهم .. برز دور صالح الكويتي في نشر الثقافة الموسيقية من خلال افتتاحه للعديد من المعاهد الموسيقية في العراق . الكثير من المغنين اليهود أرثوا عالم الفن بأسماء عريقة أبت أن تهاجر بعيداً فالمغني كما يقال يموت بلا جمهوره .. من امثال سليمة مراد ، زكية جورج وناظم الغزالي وغيرهم من الذين أرضعوا الأجيال في طفولتهم حب بغداد ، ليحملوا الموسيقى الشرقية من بعدهم ويغنوها بكلمات مُلئت حنيناً من ذكريات الأهل والأصحاب . فحين تسمع إيقاع الشباب تسمع العبرية التي اختلطت بالعربية محاولين إعادة التراث بشكل يعاصر وقتنا الحالي . أن ذلك الفن العراقي العريق مازال يزدهر ويصدح في أعراسهم التي تزينت بتراثهم من لبس شعبي وأكلات عراقية . وبالمناسبة إن المرأة العراقية اليهودية مازالت تتزين بليلة الحناء وتقام لها الحفلة على إيقاع الموسيقى الشرقية . أليس من المدهش ذلك التمسك وحتى بعد مرور حقبة من الزمن ؟

فالسؤال الأهم .. ما لأسباب وراء تمسك العراقيين بهويتهم وكيف سعوا إلى ترسيخها في (تل أبيب) ؟ والذي أعنيه بتل أبيب هي عقبة الحكومة الإسرائيلية وضغوطها على العراقيين تحديداً ومحاولاتهم لزرع الثقافة الغربية فيهم . إن العراقيين اقتلعوا من أراضيهم فا من الصعب أن تزرع نبتة في غير تربتها ..
أن الثقافة تعد من أبرز الأمور التي تساعد في بناء أي مجتمع فا تلك الصفة التراكمية للثقافة ما هي ألا طوبي تبني المجتمعات وتضمن تماسكه وبقاءه . والعراقيين المهجرين قسراً أخذوا العادات دروع لمواجهة الأعداء وغزوهم الفكري والثقافي ، فهي أخر ما بقي لهم من هويتهم و ذكرى بغداد . كما أن الإنعزال في أحياء ونوادي خاصة بهم أعتقد أنه ساهم في المحافظة على ما تبقى من عاداتهم و مورثهم . فقد تعودوا أن يقيموا حفلاتهم في نوادي خاصة بهم .. ولا ننكر لدور الندوات التي تقام بين الحين والأخر تدعوا فيها الاجيال التي حرمت من نعيم بغداد ، بأن تتمسك باللغة العربية كونها من أكثر الأمور التي تحارب ، والتمسك بتراثهم من أدب وموسيقى وغيرها . كما أن هناك شباب ناشطون لهم الدور الكبير في ثبات الهوية العراقية بإعادة قراءة تاريخ طائفتهم . كما أعتقد أن مرونة الثقافة وقابلية تشكيلها لتناسب كل زمان وكان هي أيضاً واحده من الأسباب التي ساعدت على ثبات الإرث العراقي . فا مقام به حفيد الموسيقار داود الكويتي بإعادة التراث الموسيقي بأسلوب عصري يناسب ذوق الأجيال الجديدة . إن اليهود العراقيين أدركوا تلك الحرب السياسية والدواعي الإسرائيلية التي تسعى إلى انصهار كل الثقافات التي هجرت إليها وخلق ثقافة جديدة تحمل هويتهم المهمشة .

---

* يقال أنهم لقبوا " بالكويتي " لأن بداية مشوارهم أنطلق من الكويت .

ولنختم بقصة لا نراها اليوم إلا كالأساطير وقصص الخيال ..

في زمن بعيد .. بعثت فلسطين بعثة لتعليم الأطفال العراقيين ما يحتاجون من علوم على الرغم من أوضاع بلادهم آنذاك . وكان أحد الأساتذة قد لاحظ فصاحة أحد طلابه وتميزه و اهتمامه بشعر و الإلقاء فا ما كان من دوره كمعلم إلا أن أهداه نصيحة تسقى من ماء الذهب ..
قال له : هل تريد أن تزداد فصاحة ؟ فحفظ القران ..

فأين العجيب في القصة ؟

تكمن الأعجوبة في **أن هذا المعلم نصراني نصح طالب يهودي أن يقرأ القران !!!**

...

فيا تُرى من يعيد لنا ذاك الزمان ؟ من يبرى جراحنا من يلم ذاك الشتات

يكفينا القتل والتشريد و إشعال النيران , يقال هذا مسلم إرهابي وذاك زنديق نصراني أما ذاك فيهودياً حرامي

ألا يكفي ! ألم يحن الوقت لنلم حطام إنسانيتنا ؟ .. فالكل هنا يسأل هل يا ترى قد حُرم علينا السلام ؟

وأجيال أخرى ظلت تبحث عن معنى السلام ، أهو خبز أمي أم هو النوم بأمان ؟

...

وقد قال شاعر اليهود العراقي أنور شاؤل يوماً :

" إن كنت من موسى قبست عقيدتي فأنا المقيم بظل دين محمد

وسماحة الإسلام كانت موئلي وبلاغة القران كانت موردي

ما نال من حبي لأمة أحمد كوني على دين الكليم تعبدي

سأظل ذياك السمؤال في الوفاء أسعدت في بغداد أم لم أسعد"

(لطيف ، 2011 ، ص 35)

المراجع :

1. < / http://www.aslalyahud.org >
2. < http://ahmedaliarticles.blogspot.com/2013/05/blog-post.html >
3. لطيف ، مازن ، (2011) ، *يهود العراق* . بغداد : دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر
4. https://www.youtube.com/watch?v=cjKBYzI2DHc
5. http://ishtar-enana.blogspot.com/2011/10/1941.html
6. http://ar.qantara.de/content/lrqywn-fy-sryyl-yhwd-lrq-yhfzwn-l-tqlyd-bld-lrfdyn
7. الصحافة اليهودية في العراق لدكتور عصام المعاضيدي < http://cutt.us/RMs9 >